



عُود الصَّابِئَةِ

وأثرها في تاريخ الإسلام

عبد الله بن مسلم



حقوق الطبع لكل مسلم ومسلمة

رَجِمَ اللهُ مَنْ طَبَعَهُ أَوْ صَوَّرَهُ أَوْ تَرَجَمَهُ أَوْ نَشَرَهُ
عبر وسائل التواصل الاجتماعي المختلفة بدون
زيادةٍ أو نقصٍ وجزاه اللهُ تعالى خيراً كثيراً، وَتَبَّتْنا
وإياه على الإسلام والسنة

لطلب ملف جاهز لطباعة هذا الكتاب أو النسخ
المتترجمة إلى لغات أخرى تواصل مع
البريد الإلكتروني

sahabadawa@gmail.com

الطبعة الأولى ٢٠٢١

دار القرن الجديد للإعلام والنشر

NEW CENTURY for media and publishing



عهود الصّابة لنبيهم عليه الصلاة
والسلام ربّتهم وألزمّتهم وحملتهم
مسئولية هذا الدين
لقد عاهد الصّابة رسول الله وكانوا
أوفى الناس بعهدهم له، فرفع الله
قدرهم ونفع بهم.
وأنت أخي المبارك هل فكرت لو أنك
أدرّكت المصطفى صلى الله عليه وسلم

ماذا كنت ستعاهده عليه؟



الافتتاحية

قيمة الكتاب وغايته

تَبْرُزُ أهمية هذا الكتاب في زماننا الذي قل فيه الالتزام بالقيم والمبادئ والأخلاقيات والمروءات التي كانت لدى آباءنا الفاتحين، وشاهدنا كثيراً من التنازلات بين المسلمين عن القيام بواجب الدعوة إلى الله والتعريف بالإسلام والتراخي عن مشاريع إعداد القيادات الإسلامية في جميع مجالات وفنون العصر؛ لتأتي هذه الأطروحة وتفتح لنا نافذة تطلُّ بنا على جوانب مشرقةٍ من عهود الصحابة التي عاهدوا بها ربهم ونبیهم، وكيف كان أثر ذلك العهد عليهم وعلى الأمة من بعدهم.



الافتتاحية

حيثُ ركَّزنا على تتبُّع وجمع العهود والمواقف المنبثقة منها والتي قدَّمتها الصحابة رضي الله عنهم في حياة النبي وبعد وفاته، وإبراز أثر هذه العهود عليهم وعلى تعاملاتهم وأثرها في الأمة، وذلك أن هذا الجيل صنع أعظم أثر في تاريخ البشرية، ورسم للأمة الطريق ودلها على الوسائل التي ترتقي بها في كل زمان ومكان، ففي كل صقع لهم أثر، وفي كل بلد منهم بقايا، جالوا الأرض وسعوا فيها وصدقوا ما عاهدوا الله عليه، بصدق والتزام في سبيل عزة الإسلام، فغدوا جيلاً فريداً متميزاً عن كل الأجيال.



ففي كل صقع لهم أثر، وفي كل
بلد منهم بقايا، جالوا الأرض
وسعوا فيها وصدقوا ما عاهدوا
الله عليه، بصدق والتزام في
سبيل عزة الإسلام، فغدوا جيلاً
فريداً متميزاً عن كل الأجيال



وكان الغرض الرئيسي من إبراز تلك العهود هو إيقاظ أفئدة المعاهدين، وتنبيه الغافلين، علّها تعتبر وتستيقظ من سباتها لتتبوأ منزلتها الحيرة التي تراخت عنها.

عهود الصحابة رسمت مواقف شمولية لجميع جوانب الحياة

وبيننا هنا أن الصحابة رضي الله عنهم لم يقتصروا في عهودهم على مجال واحد؛ كالمجال العلمي أو المجال التعبدي فقط، بل رسمت عهودهم مواقف شمولية لجميع جوانب الحياة، وأخرجت لنا مبادرات علمية واجتماعية واقتصادية وشرعية وعسكرية ومالية وسياسية؛ ذلك أن الدين الإسلامي الذي يعتنقونه يتسم بالتكامل والشمول وأنهم هم الذين اصطفاهم ربهم لنيته وانتدبهم لهذه المسؤولية العظيمة فحملوها بكل صدق وإخلاص وأصبحت عهدًا يسير معهم أينما ساروا وبييت بهم أينما

باتوا وأصبح هذا العهد متوغلاً في كل جزء من حياتهم فتجده ملازماً لهم في خلوتهم كانوا أو مع أهلهم، وفي مآكلهم ومشربهم ويجري منهم مجرى النفس وهم يعلمون أنهم على هذه الأرض يؤدون مهمة هم مسئولون عنها ومعاهدون ربحم عليها حتى يبعثون.

ولقد سرت في هذا الكتاب على منهج الاستقراء والتبُّع للحوادث كي أستخرج منها تلك العهود والمواقف التي ترتبت عليها، وأقوم بتحليلها وأجتهد بتقديمها بصورة ثقافية، عبر تعليقات مختصرة يُضاف فيها الأساليب المعاصرة، وأقدمها للمتلقي بجميع القوالب والأوعية الحديثة، وهنا أبدأ بسؤال لكل من يقرأ هذا الكتاب وأقول له بين قوسين:

(ما هو العهد الذي بينك وبين الله؟)

معنى العهد

العهد في اللغة وفي لسان الشرع يُطلق على عدة معان؛ منها:

الأمان، واليمين، والموثق، والذمّة، والحِفاظُ، والوصيةُ
وقد عَهِدْتُ إليه، أي أوصيته.

وفي الحديث " إِنَّ حُسْنَ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ "؛^(١) أي: رعاية المودّة. والتَعَهُدُ: التحفُّظُ بالشيء وتجديد العهد به. والمعاهدُ: الذمّيُّ. وعَهِيدُكَ: الذي يُعَاهِدُكَ وتُعَاهِدُهُ. وقرينة عَهِيدَةٌ، أي قديمةٌ أتى عليها عهد طويل.^(٢)

١ جامع الصحيح للسيوطي (٢٢٥٨)

٢ انظر: تهذيب اللغة (١/٩٨)، الصحاح للجوهري (٢/٥١٥)، مقاييس

اللغة (٤/١٦٧)، لسان العرب (٣/٣١١)، القاموس المحيط (١/٣٠٣)

معنى العهد

وإنما سُمِّيَ اليهود والنصارى أهل العهد؛ للذمة التي أعطوها
والعهدة المشترطة عليهم ولهم.

وجاء العهد في الكثير من الآيات؛ منها:

١. ﴿لَا يَتَّالِ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: ١٢٤)
٢. ﴿وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ
وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (البقرة: ١٢٥)
٣. ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ (النحل: ٩١)
٤. ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ
عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (يس: ٦٠)

وجاء لفظ العهد في الكثير من الأحاديث؛ منها:

معنى العهد

١. قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "تَمَسَّكُوا بِعَهْدِ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ." ^(١)؛

أي: تَمَسَّكُوا بِعَهْدِ ابْنِ مَسْعُودٍ إِذَا عَهَدَ إِلَيْكُمْ.

٢. ومنه حديثُ عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

"إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيَّ"؛ ^(٢) أي: وصية.

١ رواه بن أبي شيبعة (٣٧٠٥٠)، والطحاوي في مشكل الآثار (١٢٢٤)

٢ مسلم (٧٨)



العهد نوعان

عهد مع الله عزَّ وجلَّ:

فإنَّ الله سبحانه وتعالى قال في كتابه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ (الأعراف: ١٧٢)، فقد أخذ الله العهد على عباده جميعًا، أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا؛ لأنَّه ربهم وخالقهم.

وعهد مع عباد الله:

ومنه العهود التي تقع بين الناس، بين الإنسان وبين أخيه المسلم، وبين المسلمين وبين الكفار وغير ذلك من العهود المعروفة، فقد أمر الله تعالى بالوفاء بالعهد، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء: ٣٤) يعني أنَّ الوفاء

أنواع العهد

بالعهد مسؤول عنه الإنسان يوم القيامة، يُسأل عن عهده هل
وفى به أم لا؟ قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ (النحل: ٩١)
يعني ولا تخلفوا العهد^(١)

١ شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين ٤/٤٥

الأمر بالوفاء بالعهد

ذم الله الذين ينقضون عهودهم أشدَّ الذم وجعل عاقبتهم أسوأ عاقبة، وهذه بعض الآيات التي تُبَيِّن ذلك:

١. ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ

بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (البقرة: ٢٧)

٢. ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾

(الأعراف: ١٠٢)

٣. ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ

بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾

(الرعد: ٢٥)

الوفاء بالعهد

٤. ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ

تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿

(النحل: ٩١)

٥. ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ

اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿ (الأحزاب: ١٥)

من أعظم حظًا من نور الرسالة؟

لقد منَّ الله على المؤمنين بنورِ الرِّسالةِ فأخرجهم به من الظُّلمات؛ ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام: ١٢٢)

وقال سبحانه وتعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (المائدة: ١٦-١٥)

وقال: ﴿قَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٧)

والناسُ تتفاوتُ منازلهم بقدر ما معهم من ذلك النور، وأعظمهم حظًا من نور الرسالة أكثرهم قُربًا منه، فكان

نور الرسالة

الصحابةُ الكرامُ أوفرَ الناسِ نصيبًا؛ لذلك جاء في الصحيحين من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال: "خيرُ النَّاسِ قرني، ثمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ" ^(١).

١ أخرج البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣)

جيل الصحابة في مقدمة الناس
في كل بابٍ من أبواب الدين



نور الرسالة

ويعتبر جيل الصحابة في مقدمة الناس في كلِّ بابٍ من أبواب الدِّين، ونستعرضُ في هذا الكتاب بعضَ ما كانوا عليه من الوفاء بالعهود والتزامهم بها، وهذه النماذج التي سنذكرها - إن شاء الله - توضِّح لنا القدرَ العظيمَ الذي كانوا عليه من الدِّين، والهمةَ الكبيرةَ التي كانت بين جوانحهم، والأهدافَ الساميةَ التي كانوا يعيشون من أجلها، وما على المؤمن الذي اطلعَ على أحوالهم ووقف على أخبارهم إلا أن يحذو حذوهم، جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: "مَنْ كَانَ مُسْتَنَّاً فَلَيْسَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَاتِ فَإِنَّ الْحَيَّ لَا تُؤْمَنُ عَلَيْهِ الْفِتْنَةُ. أُولَئِكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانُوا أَفْضَلَ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبْرَهَا قُلُوبًا وَأَعَمَّقَهَا عِلْمًا وَأَقَلَّهَا تَكَلُّفًا، اخْتَارَهُمُ اللَّهُ لَصُحْبَةِ نَبِيِّهِ وَإِقَامَةِ دِينِهِ، فَاعْرِفُوا لَهُمْ فَضْلَهُمْ وَاتَّبِعُوهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ، وَتَمَسَّكُوا بِمَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ وَسَيْرِهِمْ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْهُدَى الْمُسْتَقِيمِ."^(١)

١ جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (٢/٩٧)
الحجة في بيان المحجة للأصبهاني (٤٩٨)
الشريعة للأجري (١١٤٣).

وقبل عرض هذه النماذج الغراء.

نطوف أولاً في رحلة يسيرة حول جزء من مواقف المعلم الأول والقدوة الحسنة ﷺ الذي أَلَّف هؤلاء الرجال فكانوا نموذجاً يُقتدى به، وجيلاً لا نظير له.

النبي الذي اختصه الله بجليل الخِصال، فبلغ غاية الكمال في السجايا والخِلال، المعلم الذي رَبَّى جِيراً مَنعوتاً في كتاب الله "رجال".

نرى في طوافنا أسمى المعاني وأشرفها وأنبهها وأجزها وأقيمها متمثلةً فيه ﷺ لنعلم قدرَ صانع هذه النماذج المشرفة ومُرَبِّها.

كأنه الشمسُ إن غابتْ فمُرسلةٌ

من ضوئها قبساً للناسِ في القمرِ^(١)

صلى الله عليه وسلم.

١ قصيدة أ/ على سيد أحمد منصور.



"إِنِّي لَا أُخِيسُ بِالْعَهْدِ وَلَا أُحْبِسُ الْبُرْدَ"

ثبت في السنن: أَنَّ أبا رافع رضي الله عنه قال: بعثني قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلَمَّا رأيتُ رسولَ الله ألقى في قلبي الإسلام.

قلتُ: يا رسول الله، إنِّي والله لا أرجع إلى قريش أبداً، لكنَّ الرسالة تقتضي جواباً، والجواب لا يصل إلاَّ مع الرسول،

فكانه عقدٌ عُقد، فقال صلى الله عليه وسلم: "إِنِّي لَا أُخِيسُ بِالْعَهْدِ وَلَا

أُحْبِسُ الْبُرْدَ، وَلَكِنْ أَرْجِعُ فَإِنْ كَانَ فِي نَفْسِكَ الَّذِي فِي

نَفْسِكَ الْآنَ فَارْجِعْ إِلَيْنَا" قال: فذهبت إلى قريش فبلَّغتهم

ثمَّ أتيتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فتشهدتُ وأسلمت. ^(١)

١ أخرجه الإمام أحمد (٢٣٨٥٧)، وأبو داود (٢٧٥٢)، والنسائي (٨٦٢١)، وابن حبان (٤٨٧٧)، وإسناده صحيح.

فلو سُئِلتِ كُلُّ الفضائلِ في الورى
لمن تنتمي؟ ما أصلها؟ أين توجد؟

لقلتِ جميعًا: لا أبالك إنّه
بلا مِريّةٍ ما ذاك إلا محمّدٌ

فوالله ما دبَّ على الأرض مثلهُ
ولا مثلهُ حتى القيامةِ يوجدُ^(١)



١ الينجوج الذكي في تعامل النبي ﷺ للشيخ على بن عبد الخالق القرني.

اليومُ يومُ برِّ ووفاء

لما فتح الله مكة لرسوله، ونزل بها واطمأنَّ النَّاسُ خرج فطاف بالبيت، ثمَّ دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة، فدخَلَ فيها وصلى ركعتين ثمَّ جلس، فقام علي رضي الله عنه وقال: يا رسول الله، اجمع لنا الحجابة مع السِّقاية، صَلَّى اللهُ عَلَيْكَ.

السُّلْطَةُ آنذاك بيده كاملة، وباستطاعته أن يمنح بني هاشم شرف الحجابة مع السِّقاية، وهم لذلك أهل، ولكنه صلى الله عليه وسلم لم ينزعه من قومٍ توارثوه، مع أنَّ عثمان بن طلحة قد أغلظ عليه قبل الهجرة حينما أراد أن يدخل البيت ذات يوم..

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم آنذاك: "لعلك ترى هذا المفتاح بيدي أضعه حيث شئتُ"

وأصبح المفتاح في يده، على هذا كَلِّه قال: "هاك مفتاحك يا عثمان، اليوم يومٌ برٍّ ووفاء" (١).

أَبْرَّ وَأَوْفَى مَنْ تَقَمَّصَ وَارْتَدَى
وَأَوْثَقَهُمْ عَهْدًا وَأَطْوَلَهُمْ يَدًا (٢)

١ البداية والنهاية لابن كثير (٣٠٠/٤)، الروض الأنف (٧٤/٧).

٢ الزرياب الإبريز في وفاء النبي العزيز للشيخ على بن عبد الخالق القرني.

فلما حضرته الوفاة اهتزت مشاعر
الوفاء في قلب النبي ﷺ فحرص كل
الحرص على نفعه في إنقاذه

"أَبِي عَمٍّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
أَحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ"

أبو طالب عم النبي ﷺ الذي ربّاه حتّى بلغ أشدّه وأعاناه على
إبلاغ رسالة ربّه، ومنعه من سُفهاء قومه، فلم يخلصوا إليه
بسوء في حياته، بل بلغ من نصرته للنبي ﷺ أن قال لقومه:

**كَذَّبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ نُبِّزْتُمْ مُحَمَّدًا
وَلَمَّا نَطَاعِينَ دُونَهُ وَنُضَائِلٍ**

**وَنُسَلِيمَةٍ حَتَّى نُضَرَّعَ حَوْلَهُ
وَنَذَهَلَ عَنِ أَبْنَائِنَا وَالْحَلَائِلِ** (١)

فلما حضرته الوفاة اهتزّت مشاعر الوفاء في قلب النبي ﷺ
فحرص كلّ الحرص على نفعه في إنقاذه، وجعل يناشده:
"أَيُّ عَمٍّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ"، وكاد

١ قصيدة أبو طالب في مدح رسول الله ﷺ وقد ذكرها عمدة القارئ شرح
صحيح البخاري (٢٩/٧)، التمهيد لابن عبد البر (٦٣/٢٢)

يستجيب لولا أن حالَ بيْنه وبينها قُرْناء السُّوء الذين ما زالوا به حتَّى فارق الحياة على ملَّتْهم..

فوجد عليه النبي ﷺ وجدًا شديدًا لما يعلم من مصيره، وهم بسؤال الله المغفرة له: "لأستغفرنَّ لك ما لم أُنه عنكَ"^(١)،

فنهاه الله، فلم يزد ﷺ على أن قال بقول الله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (القصص: ٥٦)

ويشفع له في تخفيف العذاب عنه، فحين قال العباس رضي الله عنه: ما أغنيتَ عن عمِّك؛ فقد كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: "هو في ضحضاحٍ من نارٍ، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النَّار"^(٢)

أوفى النَّاس، خيرُ الورى وأجلُّ من وطئ التُّرى، وأبرُّ مبعوثٍ به يُستترشد.^(٣)

١ البخاري (٤٦٧٥)

٢ البخاري (٣٨٨٣)، مسلم (٢٠٩).

٣ الزرياب الإبريز في وفاء النبي العزيز للشيخ علي بن عبد الخالق القرني.

أنا منكم وأنتم مني

لما بايع الأنصارُ رسولَ الله ﷺ بيعةَ العقبة حِشِّي بعضهم
 إذا ظهر أن يعود لقومه ويستقر هناك، فتبسم ﷺ وقال:
 "بل الدَّمُ الدَّمُ، والهدم الهدم، أنا منكم وأنتم مني، أحاربُ
 من حاربتكم وأسلمُ من سلمتكم" (١)

وهاجر إليهم فاستقبلوه وصحبه أيما استقبال، فلما فتح الله
 له مكة أشفقوا أن يُقيم بها ويتركهم، فقالوا: أدركت رسولَ
 الله رغبةً في قريته ورافةً بعشيرته، فطمأنهم وقال: "كلاً، إني
 عبدُ الله ورسوله، الحيا محياكم والمماتُ مماتكم" (٢)، فضجوا
 ويكون ودمعهم يهطلُ في الخدِّ كالديم يقولون: والله، ما قلنا
 الَّذي قلنا إلا ضناً وشحاً بك أن تُفارقنا، فصدَّقهم وعذرهم؛
 فهو الَّذي يرعى الوداد لمن رعى، يفديه بالروح وبالمال معاً.

١ فقه السيرة (١٤٩) صحيح.

٢ مسلم (١٧٨٠).

العيلة عليهم تخافين وأنا وليهم في الدنيا والآخرة؟

حين استشهد سيدنا جعفر عليه السلام بمؤتة حزن عليه النبي صلى الله عليه وسلم وطلب أبناءه فشمهم، وذرفت عيناه عليه، وأوصى أصحابه ألا يغفلوا عنهم وأن يصنعوا الطعام لهم، فقد أتاهم ما شغلهم، ثم جاءهم بعد ثلاثٍ فقال: "لا تبكوا على أخي بعد اليوم"، ودعا بني جعفر فجاءوا كالأفراخ، فأمر بحلق رؤوسهم ثم دعا لهم: "اللهم اخلف جعفرًا في أهله، وبارك لعبدالله بن جعفر في صفقة يمينه" ..

وقال لأمتهم لما ذكرت يثمتهم وجعلت تحزنه عليهم:

"العيلة عليهم تخافين وأنا وليهم في الدنيا والآخرة؟"^(١)

فَإِذَا صَحِبْتَ رَأَى الْوَفَاءَ مُجَسَّمًا
فِي بُرْدِكَ الْأَصْحَابُ وَالْخُلَطَاءُ
وَإِذَا أَخَذْتَ الْعَهْدَ أَوْ أُعْطِيَتْهُ
فَجَمِيعُ عَهْدِكَ ذِمَّةٌ وَوَفَاءٌ^(١)

صلى الله عليه وسلم.

١ قصيدة "ولد الهدى" للشاعر أحمد شوقي.

وإنَّ حُسْنَ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ

تأتي رسولَ الله ﷺ يوماً عجوزٌ فيُحَسِّنُ لقاءَها ويكرمُ مثواها، ويسألُ عن حالِها: "كيف أنتم؟ كيف كنتم بعدنا؟" قالت: بخيرٍ بأبي أنت وأمي يا رسولَ الله، فلمَّا خرجتْ، قالت عائشةُ ؓ: أقبلتَ على هذه العجوزِ هذا الإقبال! قال: "إنَّها كانت تأتينا زمنَ خديجة، وإنَّ حُسْنَ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ"^(١)

كَلِمَاتُهُ بَيْنَ الْجَوَانِحِ طَعْمُهَا

كَالزَّجْبِيلِ بِعَذْبِ قَاءٍ سَلْسَلٍ^(٢)

صلى الله عليه وسلم.

١ الجامع الصغير للسيوطي (٢٢٥٨).

٢ الزرياب الإبريز في وفاء النبي العزيز للشيخ علي بن عبد الخالق القرني.

الوفاء بالعهد مع الأعداء

لقد ربَّى النبي ﷺ الصحابةَ على الوفاء بالعهد حتى مع الأعداء المحاربين، فقد ذكر الإمام مسلم في صحيحه في "باب الوفاء بالعهد"، أن حذيفة بن اليمان، قال: ما منعني أن أشهد بدرًا إلا أني خرجت أنا وأبي حسيل، قال: فأخذنا كفار قريش، قالوا: إنكم تريدون محمدًا، فقلنا: ما نريده، ما نريد إلا المدينة، فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننصرفنَّ إلى المدينة، ولا نقاتل معه، فأتينا رسول الله ﷺ، فأخبرناه الخبر، فقال: "انصرفا، نفي لهم بعهدهم، ونستعين الله عليهم"^(١)

إنَّ الوفاء بالعهد، وعدم نسيانه أو الإغضاء عن واجبه، خلق كريم، ولذا كان رسول الله ﷺ فيه بالحلل الأفضل والمقام

١ رواه مسلم ١٧٨٧.

الأسمى، والمكان الأشرف، ففواؤه كان مضرب المثل، وحقاً له ذلك، وهو سيد الأوفياء^(١). ويتجلى لنا وفاء الرسول ﷺ في صور كثيرة منها أيضاً:

كان رسول الله ﷺ يفي بالعهود والمواثيق التي تكون بينه وبين أعداء الإسلام. فثبت عنه ﷺ أنه قال لرسولي مسيلمة الكذاب لما قالاً: نقول: "إنه رسول الله" لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكما.^(٢)

وثبت عنه أنه ردَّ إليهم أبا جندل للعهد الذي كان بينه وبينهم، أن يرده إليهم من جاءه منهم مسلماً.^(٣)

١ هذا الحبيب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يا محب، لأبي بكر الجزائري ص ٥٥٦

٢ رواه أبو داود (٢٧٦١)، وأحمد (٤٨٧/٣) (١٧٠٣٢) من حديث نعيم بن مسعود رضي الله عنه. قال الحاكم (١٥٥/٢): صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي. وحسنه الألباني في (صحيح الجامع) (١٣٣٩)

٣ زاد المعاد لابن القيم ٧٩/٥.

وفاءه ﷺ لزوجاته: فمن وفائه صلى الله عليه وسلم في هذا الباب، أنه كان يكرم صديقات زوجته خديجة رضي الله عنها بعد موتها، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتى بالشيء يقول: "اذهبوا به إلى فلانة؛ فإنها كانت صديقة خديجة، اذهبوا به إلى بيت فلانة؛ فإنها كانت تحب خديجة." ^(١) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: "ما غرت على أحد من أزواج النبي ﷺ ما غرت على خديجة، وما بي أن أكون أدركتها؛ وما ذاك إلا لكثرة ذكر رسول الله ﷺ، وإن كان ليذبح الشاة فيتبع بها صدائق خديجة؛ فيهديها لهن." ^(٢)

١ رواه البخاري في ((الأدب المفرد)) (٢٣٢)، وابن حبان (٤٦٧/١٥).
٢٠٠٧)، الحاكم (١٩٣/٤) (٧٣٣٩) من حديث أنس رضي الله عنه.
وصححه إسناده الحاكم، وصححه الذهبي، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد، ١٧٢

٢ رواه الترمذي ٢٠١٧ من حديث عائشة رضي الله عنها. وقال: حسن صحيح غريب. وصححه الألباني في صحيح الترمذي.

هذا أحدُ جبلٍ يحبنا ونحبه

إِنَّ وِفَاءَهُ ﷺ سَمَا لِحِجَارَةٍ صَمَّاءَ، حَازَتْ مِنْهُ أَعْلَى عِبَارَاتِ
الْحُبِّ وَالْوَفَاءِ، لَمَّا طَلَعَ لَهُ أَحَدٌ فِي عَوْدَتِهِ قَال: "هَذَا أَحَدُ
جِبَلٍ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ".^(١)

يا الله! ما أعظم هذا الوفاء! وما أجمله وأرقه!
قَدَبَةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ أَشْرِبَتْهَا
قَعَائِدُ الدَّيْرِ وَالرُّهْبَانُ فِي الْقِمَمِ
إِنَّ الشَّمَائِلَ إِنْ رَقَّتْ يَكَادُ بِهَا
يُغْرَى الْجَمَادُ وَيُغْرَى كُلُّ ذِي نَسَمٍ^(٢)
صلى الله عليه وسلم.

١ البخاري (١٤٨١)، مسلم (١٣٩٢).
٢ قصيدة "ريم على القاع" للشاعر أحمد شوقي.

"لو لم ألتزمه لما زال هَكَذَا إلى يومِ القيامةِ"

وهذا جذعٌ لا يعقل، كان يخطُبُ عليه ﷺ، وفي يومِ الجمعةِ صعدَ منبراً صُنعَ له وتركَ ذلكَ الجذعَ، فصاحَ الجذعُ صياحَ الصبيِّ حيناً إلى الذِّكرِ وحرزاً على رسولِ الله ﷺ، وفي لمسةٍ وفاءٍ ينزلُ ويضمُّه إليه، ويلتزمه حتَّى سکن، ثمَّ قال: "أما والذي نفسُ مُحَمَّدٍ بيدهِ لو لم ألتزمه لما زال هَكَذَا إلى يومِ القيامةِ".^(١)

ونحنُ أولى يا أخي أن نلزمَ له ونسيرَ على نهجه ونبلغَ دعوته فهذا هو طريقنا الذي تستقيمُ به حياتنا وتسعدُ به قلوبنا. وبعد هذه الرحلة الماتعة من الطوافِ لنذهب إلى النماذجِ المشرفةِ فنغترفَ من بحرِها ونهلَ من نهرِها ونرتوي بدرِها ونحذوا حذوها، لنكونَ خيرَ خلفٍ لخيرِ سلفِ.

١ دلائل النبوة للبيهقي (٥٥٨/٢) صحيح.

العهد الذي عاهدوا الرسول ﷺ

عن ابن عباس قال: قال أبو ذرٍّ رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خيركم الذي يموت على العهد الذي عاهدني عليه»^(١).

عن جرير البجلي، أنه كان إذا أقام سلعة بصَّرَ عيوها ثم خيَّره فقال: إن شئت فخذ، وإن شئت فاترك، فقبل له: يرحمك الله إنك إذا فعلت هذا لم ينفذ لك البيع، فقال: «إننا بايعنا رسول الله ﷺ على النصح لأهل الإسلام»^(٢).

وفي رواية أخرى " أتيتُ النبيَّ ﷺ قلتُ: أبايعُكَ على الإسلام فشرطَ عليَّ: والنَّصْحَ لِكُلِّ مُسْلِمٍ " ^(٣).

١ رواه البيهقي في شعب الإيمان (٩٩٢١).

٢ رواه الطبراني في المعجم الكبير (٢٥١٠).

٣ البخاري (٥٨).

"إنه من الغبن أن أنقض هذا
العهد بخمسمائة درهم"

مواقف المعاهدين

ويجب أن أبين هنا مواقف الصحابة ومبادراتهم التي كان لها الأثر الكبير على مسيرة التاريخ البشري، واستطاعوا في أقل من ربع قرنٍ تغيير معالم الأرض وخرائطها، وبناء دولة قويةٍ مترابطةٍ مترامية الأطراف، متماسكةٍ في الفكر والسلوك..

وأسأل الله أن أوفق في إبراز تلك الدافعية العجيبة لديهم والتي كانت تنبثق من التزام ذاتي وإيمان راسخ بأداء المهمة لكي يُوفوا بذلك العهد الذي قطعوه فأصبح هو الذي يسيرهم في كل صغيرة وكبيرة ولنا في موقف جرير بن عبدالله البجلي عظة وعبرة:

ورد في معجم الطبراني أن جرير بن عبد الله البجلي أرسل غلامه ليشتري فرساً، فذهب غلام جرير إلى السوق فوجد فرساً أعجبه، فأخذ يساوم صاحبه حتى وصل إلى ثلاثمائة

درهم، وكان الفرس يستحق أكثر من ذلك، لكن الغلام (فطن)، فاتفقوا على السعر وذهب الرجل والغلام بالفرس إلى جرير، فقال له جرير: بكم اشتريت الفرس؟ قال: بثلاثمائة درهم، فقال جرير لصاحب الفرس: يا صاحب الفرس! فرسك يساوي خمسمائة، فاستاء الغلام جداً من هذه الكلمة، فقال الرجل: رضيت!، فقال جرير: بل يساوي ثمانمائة درهم، فقال له الرجل: رضيت!، وأعطاه الثمانمائة درهم وأخذ الفرس، فقال الغلام متعجباً!

ما هذا؟ فقال جرير: (يا بني إني بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم!).^(١)

فهل هذا المثل موجود في غير الصحابة - إلا من رحم الله وقليل ما هم؟ لا يمكن له أن يفض بيعته وعهده الذي عاهد عليه نبيه بخمسمائة درهم!

١ معجم الطبراني الكبير (٢/٣٣٤) برقم ٢٣٩٥ وهو حديث صحيح.

مواقف المعاهدين

ولسان حاله يقول إنه من الغبن أن أنقض هذا العهد
بخمسمائة درهم، فحين تنظر إلى هذه النماذج ترى نماذج
عالية يتأسى بها المسلم، فالجيل الأول كله مكاسب، وإذا
اخترت في الأجيال التي تأتي بعد ذلك اختر من كان على
منهج هؤلاء، فيلزمك حينئذ أن تقتدي بهم وتصاحب من
كان على نهجهم.

"والله ما أحب أن أكون أمناً وادعاً
في أهلي وولدي، وأن محمداً
يؤخر بشوكة"

لله درهم! كم كانوا أوفياء مع رسول الله ومع الإسلام، فهذه القصة التي سنذكرها - إن شاء الله تعالى - قصة من قصص الصحابة رضي الله عنهم، وهي تبين شيئاً من تضحيات أولئك العظماء في سبيل هذا الدين، وكيف اصطفى الله منهم شهداء.

من شهد مصرع خبيب رضي الله عنه الصحابي سعيد بن عامر الجمحي رضي الله عنه ووقتها كان على الشرك ولم يدخل في الإسلام، وبعد أن دخل سعيد رضي الله عنه الإسلام كانت تأتيه غشية فيغيب عن حوله، فسأله عمر رضي الله عنه عن ذلك، فقال سعيد رضي الله عنه: "شهدت مصرع خبيب بن عدي وأنا مشرك، ورأيت قريشا تقطع من جسده وهي تقول له: أتحب أن يكون محمداً مكانك وأنت ناج؟"

فيقول: "والله ما أحب أن أكون أمنا وادعا في أهلي وولدي، وأن محمداً يوخز بشوكة"، ثم قال:

وَلَسْتُ أَبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا

عَلَيَّ أَيُّ شَيْءٍ كَانَ لِلَّهِ مَصْرَعِي

وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَإِنْ يَشَاءُ

يُبَارِكُ عَلَيَّ أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَرَّعٍ^(١)

وإني والله ما ذكرت ذلك اليوم وكيف أني تركت نصرته إلا ظننت أن الله لن يغفر لي وأصابني تلك الغشية. نعم لقد كان يراه في حلمه إذا نام، ويذكره حين صلى ركعتين مطمئنتين أمام خشبة الصلب، ويسمع رنين صوته في أذنيه وهو يدعو على قريش. نعم يا مسلمون "إني تركت نصرته فظننت أن الله لن يغفر لي"، كلمات عظيمة تحتاج

١ إسناده لا بأس به بهذه الرواية، وقد ذكره البخاري في كتابه (٣٠٤٥) دون قول: "والله ما أحب أن أكون أمنا وادعا في أهلي..".

وفاء الصحابة

إلى وقفة وتدبر، يخاف أن لا يغفر الله له لأنه لم ينصر خبيبًا مع أنه لم يكن وقتها مسلمًا. فشعر بالمسؤولية وعاتب نفسه مادام حيًا، إنها الرابطة التي جمعتة بخبيب إنها أخوة الإسلام.

لأستدرك ما سبقتموني إليه.

ولن تجدني في الإسلام خوارًا!

ذُكر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه لما أسلم في بيت أخته، وطلب أن يدلوه على مكان النبي صلى الله عليه وسلم، فأخبروه أنه بدار الأرقم مع أصحابه، ثم قصده وأعلن إسلامه، وهناك تفاجأ بوجود أخيه زيد بن الخطاب رضي الله عنه الذي سبقه إلى الإسلام، فقال له: أسبقني إلى الإسلام؟! قال: ما كنت لأستذنك؛ لقد كنت جبارًا!، فقال عمر رضي الله عنه: ولن تجدني في الإسلام خوارًا!، ثم قال: **أشهد الله ورسوله وأشهدكم أني ما وقفت موقفًا آذيت فيه مسلمًا إلا وقفت مثله منافحًا عن الدين وأهله؛ لأستدرك ما سبقتموني إليه!**

وقد أسلم ﷺ في السنة السادسة من البعثة^(١)، فأراد أن يستدرك ما فاتته بسبب تأخر إسلامه، حتى فعل أفعالاً جعلته كمن أسلم من أول يوم.

قال ابن مسعود رضي الله عنه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : "كان إسلامه فتحاً، وكانت هجرته نصرًا، وكانت إمارته رحمة."

فإنه حدّث عن نفسه لما سأله ابن عباس: لأي شيء سُميت الفاروق؟ قال: قلت حين أسلمت: يا رسول الله، ألسنا على الحق إن متنا وإن حيينا؟ قال: "بلى، والذي نفسي بيده إنكم على الحق وإن متم وإن حييتم"، قال: قلت: ففيم الاختفاء؟ والذي بعثك بالحق لنخرجن، فأخرجنا في صقّين، حمزة في أحدهما، وأنا في الآخر، حتى دخلنا المسجد، قال: فنظرت إلى قريش وإلى حمزة،

١ مختصر سيرة الرسول لشيخ الاسلام ص (١١٨).

وفاء الصداقة

فأصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها، فسماي رسول الله ﷺ
الفاروق يومئذ. (١)

يقول صهيب بن سنان الرومي رضي الله عنه: لما أسلم عمر ظهر
الإسلام، ودُعِيَ إليه علانية، وجلسنا حول البيت حلقًا،
وطُفنا بالبيت، وانتصفنا ممن غلظ علينا، ورددنا عليه
بعض ما يأتي به! (٢).

١ صفوة الصفوة (١/٢٦٨).

٢ الرحيق المختوم للمباركفوري ص (٨١).

فَعَلَامَ نُعْطِي الدِّنِيَّةَ فِي دِينِنَا؟

ولما كان يوم الحديبية، وتم الصلح بشروطٍ ظاهرها الإجحاف بالمسلمين قال عمر رضي الله عنه: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ؟! فَقَالَ: "بَلَى"، فَقَالَ: أَلَيْسَ قَتَلْنَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتَلَاهُمْ فِي النَّارِ؟! قَالَ: "بَلَى"، قَالَ: فَعَلَامَ نُعْطِي الدِّنِيَّةَ فِي دِينِنَا، أَتَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمِ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ! فَقَالَ: "يَا ابْنَ الْخَطَّابِ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَلَنْ يُضَيِّعَنِي اللَّهُ أَبَدًا"^(١).

١ صحيح البخاري، رقم الحديث: (٣١٨٢)، صحيح مسلم، رقم الحديث: (٤٧٣٣).



"فَعَلَامَ نُعْطِي الدِّينَةَ فِي دِينِنَا"

إنَّ مقولة عمر رضي الله عنه: "فَعَلَامَ نُعْطِي الدِّينَةَ فِي دِينِنَا" التي تعد اليوم من مفاخر الأقوال ولكن لما شعر أنه اعترض على قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أصبح نادماً على ما بدر منه لدرجة أنه قال: فعملت لذلك أعمالاً، ما زلت أتصدق وأصوم وأصلي وأعتق من الذي صنعت يومئذ؛ مخافة كلامي الذي تكلمت به، حتى رجوت أن يكون خيراً^(١)!.

١ الرحيق المختوم للمباركفوري ص (٣٠٩).

لحظة يبرز فيها صدق الوفاء
وحسن العهد ونُبل الأخلاق
وسمو النفس
أولئك الذين صدقوا.

من الأحداث العظيمة التي خلدها التاريخ في السيرة النبوية تلك البيعة التي تُسمَّى "بيعة الرضوان"، والتي هي عهدٌ جماعيٌّ من الصحابة آنذاك للنبي ﷺ، وذلك أنَّ رسول الله ﷺ بلغه أنَّ عثمان بن عفان الذي أرسله إلى قريش للتفاوض قد قُتل، فقال رسول الله ﷺ لَمَّا بلغته تلك الإشاعة: لا نبرح حتى تُناجز القوم، ثم دعا أصحابه إلى البيعة، فسار المسلمون إلى رسول الله ﷺ وهو تحت الشجرة فبايعوه على الموت أو على ألا يفروا، وأخذ رسول الله ﷺ بيد نفسه، وقال: هذه عن عثمان، فكانت بيعة الرضوان تحت شجرة سمرة^(١) في الحديبية التي أنزل الله فيها:

١ السمر: الطلح.

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي

قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (الفتح: ١٨).^(١)

﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾: من الصدق والوفاء.

﴿فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ﴾: الطمأنينة والرضا.

﴿وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾: يعني فتح خيبر.

وكان الذين بايعوه هذه البيعة فيما ذكر في قول بعضهم:

أَلْفًا وَأَرْبَع مِئَةٍ، وفي قول بعضهم: أَلْفًا وَخَمْس مِئَةٍ، وفي

قول بعضهم: أَلْفًا وَثَلَاث مِئَةٍ.^(٢)

١ انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٣١٥/٢)، البداية والنهاية (٢١٥/٦)، الرحيق المختوم (ص ٣١٢)، السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي (ص ٣٨٠)، فقه السيرة للغزالي (ص ٣٣١).

٢ انظر: تفسير الطبري (٢٧٢/٢١)، تفسير البغوي (٣٠٥/٧)، زاد المسير (١٢٦/٤).

وفاء الصداقة

قال ابن الجوزي رحمه الله: "وسميت بيعة، لأنهم باعوا أنفسهم من الله بالجنة، وكان العقد مع رسول الله ﷺ فكأثم بايعوا الله عز وجل، لأنه ضمن لهم الجنة بوفائهم"^(١).

قال رسول الله ﷺ: "لا يدخل النار أحدٌ بايع تحت الشجرة"^(٢).

١ زاد المسير (٤/١٣٠).

٢ رواه أحمد (١٤٧٧٨)، وأبو داود (٤٦٥٣)، والترمذي (٣٨٦٠) وقال: هذا حديث حسن صحيح.



"فوالذي بعثك بالحق لو سرت
بنا إلى برك الغماد، لجالدنا
معك من دونه حتى تبلغه"

عهد الأنصار للرسول في غزوة بدر

الأنصار هم الذين وقفوا مع النبي ﷺ لَمَّا خذله قومه، وكانت لهم مواقف مشرّفة في نصرته الإسلام والذبّ عن الرسول ﷺ، وأعطوا على ذلك العهود والمواثيق، وقد لَخَّصَ سيّدٌ من ساداتهم -وهو سعد بن معاذ- مواقفهم النبيلة وتضحياتهم الجسيمة بكلماتٍ من نورٍ أدخلت السرورَ إلى قلب النبي ﷺ، فعندما استشار النبي ﷺ الناس قبل غزوة بدر وأخبرهم عن قريش، فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن، ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله امض لما أراك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون. ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد

لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه. فقال له رسول الله ﷺ خيراً ودعاً له. ثم قال رسول الله ﷺ: "أشيروا علي أيها الناس". وإنما يريد الأنصار، وذلك أنهم كانوا عدد الناس، وأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا: يا رسول الله، إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا، فإذا وصلت إلينا، فأنت في ذمتنا، نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا، فكان رسول الله ﷺ يتخوف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصره إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم، فلما قال ذلك رسول الله ﷺ، قال له سعد بن معاذ: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: "أجل".

قال: فقد آمننا بك، وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا على

وفاء الصحابة

السمع والطاعة لك، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق، لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا، إنا لصبر في الحرب، صدق عند اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر على بركة الله.

قال: فسُرَّ رسول الله ﷺ بقول سعد ونشطه. ثم قال: سيروا وأبشروا فإنَّ الله قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم. ^(١)

١ البداية والنهاية (٦٩/٥)، الرحيق المختوم (ص ١٨٨)، الطبراني في تفسيره (١١/٤١)

لله دُرُكٌ يا علي!، ما أعظمه من
امتنال!، وما أروعَه من التزام!



"فما تركتها بعد.. ولا ليلة صفين"

في يومٍ من الأيام أتى النبي ﷺ عليّ بن أبي طالب وزوجه فاطمة رضي الله عنهما، فعلمهما النبي ﷺ شيئاً، ومن العجيب أنّ عليّاً رضي الله عنه منذ تلك الليلة إلى آخر ليلةٍ في عمره بقي مستمسكاً بتلك الوصية، عاملاً بها، حتى في أقسى الظروف التي مرّت عليه في حياته، ولنستمع له وهو يحدثنا عن تلك الوصية وعن حاله معها، جاء في الصحيحين عن علي بن أبي طالب، أنّ فاطمة رضي الله عنها أتت النبي ﷺ تسأله خادماً، فقال: «ألا أخبرك ما هو خيرٌ لك منه؟

تُسيّحين الله عند منامك ثلاثاً وثلاثين، وتحمدين الله ثلاثاً وثلاثين، وتكبرين الله أربعاً وثلاثين فهذا خير لكما من خادم»^(١).

١ البخاري (٣٧٠٥)، مسلم (٧٠٩٠).

فما تركتها بعد، قيل: ولا ليلة صفين؟ قال: ولا ليلة صفين.

لله درُّك يا علي!، ما أعظمه من امتثال!، وما أروعَه

من التزام!

فما زَأَلَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ

هذا عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه كان في تربية النبي صلى الله عليه وسلم وتحت رعايته، يذكر من حاله أنه كان أثناء الأكل يحرك يديه في جوانب القصعة ليلتقط الطعام، فعلمه النبي صلى الله عليه وسلم آداب الطعام فلزم وبقي على ما وُصِي به وأخبر يقول:

"كنتُ غُلاماً في حَجْرٍ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت يدي تَطِيشُ في الصَّحْفَةِ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا غُلامُ، سَمَّ اللهُ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ" **فما زَأَلَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ.**" (١)

فما زَأَلَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ، كلماتٌ يَفُوحُ منها عِبْرُ الوفاءِ وصدقُ الاستجابة وحسنُ التعلُّمِ وصورُ العهدِ.

١ صحيح أخرجه البخاري (٥٣٧٦)، ومسلم (٢٠٢٢).

وأنت يا أخي كم عرفت من حبيبك صلى الله عليه وسلم
ما تستقيم به حياتك ويعظم به
أجرُك وتسمو به نفسُك فهل استجبت
وعاهدت وصنت؟

ولولا عهد رسول الله ﷺ إليّ أن لا
تُحدِثُ شيئًا حتى تأتيَنِي، ثم شئتُ،
لقتلته بسهم

صاحب سر الرسول: لولا عهد
رسول الله ﷺ إليّ...

قال ابن إسحاق: فحدثني يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القرظي، قال: قال رجل من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان رضي الله عنه: يا أبا عبد الله، أرايتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبتموه؟ قال: نعم، يا بن أخي، قال: فكيف كنتم تصنعون؟ قال: والله لقد كنا نجهد، قال: فقال: والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض ولحَمَلناه على أعناقنا. قال: فقال حذيفة: يا بن أخي، والله لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق، وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هويًا من الليل، ثم التفت إلينا فقال: مَنْ رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع- يشرط له رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجعة- أسأل الله تعالى أن يكون رفيقي في الجنة؟ فما قام رجل من القوم، من شدة الخوف، وشدة الجوع، وشدة البرد، فلما لم يقم أحد،

عهد الصداقة

دعاني رسول الله ﷺ، فلم يكن لي بُدٌّ من القيام حين دعاني، فقال: يا حذيفة، اذهب فادخل في القوم، فانظر ماذا يصنعون، ولا تحدثن شيئاً حتى تأتينا. قال: فذهبت فدخلت في القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل، لا تَقْر لهم قدرا ولا نارا ولا بناء، فقام أبو سفيان فقال: يا معشر قريش: لينظر امرؤ من جلسه؟ قال حذيفة: فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جنبي، فقلت: من أنت؟ قال: فلان بن فلان.

ثم قال أبو سفيان: يا معشر قريش، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع والخف، وأخلفتنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقينا من شدة الريح ما ترون، ما تظمنن لنا قدر، ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناء، فارتحلوا فإني مرتحل، ثم قام إلى جملة وهو معقول،

فجلس عليه، ثم ضربه، فوثب به على ثلاث، فوالله ما أطلق عقاله إلا وهو قائم، ولولا عهد رسول الله ﷺ إليّ أن لا تُحدِثُ شيئاً حتى تأتيني، ثم شئت، لقتلته بسهم.^(١)

إنها الطاعةُ بأسمى صورها، والجنديةُ بأجمل حُللها.

١ السيرة النبوية لابن هشام (٢/٢٣١)، البداية والنهاية (٦/٦٣)، سير أعلام النبلاء (سيرة ١/٤٩٧).

لا أدعهنَّ حتى أموت

ها هو أبو هريرة رضي الله عنه يُعلنها واضحةً صريحةً (لا أدعهنَّ حتى أموت)، منذ أن خرجت تلك الوصايا من فمه صلى الله عليه وسلم وتلقفتها أذنا أبي هريرة ووعاها قلبه بدأ العهد، واستمرَّ العملُ الدؤوبُ الذي لن ينقطع مادامت الروحُ متصلةً في البدن، وما دام العرقُ ينبضُ بالحياة.

قال رضي الله عنه: «أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بثلاثٍ لا أدعهنَّ حتى أموت: «بصيامٍ ثلاثةِ أيامٍ من كلِّ شهرٍ، وركعتي الضحى، وأن أوترَ قبل أن أرقُدَ».^(١)

وإذا كانتِ النفوسُ كبارًا

تعبَّت في مُرادِها الأجسامُ^(٢)

١ البخاري (١١٧٨)، مسلم (٧٢١).

٢ قصيدة المتنبي.

جرير بن عبد الله البجلي

عن جرير قال: بايعت رسول الله ﷺ على السَّمع والطاعة،
والنُّصح لكلِّ مسلمٍ، فكان إذا اشترى شيئاً أو باعَه يقول
لصاحبه: اعلمْ أنَّ ما أخذنا منك أحبُّ إلينا مما أعطيناك
فاختر. ^(١) رواه ابن حبان في صحيحه (٤٥٤٦)

ثبُلُ في الأخلاق، سمُو في الأدب، رُقِيَّ في المعاملة، سمعُ
وطاعةٌ ونصحٌ.

قومٌ كرامٌ السَّجايا حيثما جلسوا

يبقى المكانُ على آثارهم عَطِراً ^(٢)

١ أبو داود (٤٩٤٥) وإسناده صحيح.

٢ قصيدة أبي مدين التلمساني.

عن أبي ذر رضي الله عنه، قال: "إنَّ خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع، وإن كان عبداً مُجَدَّعَ الأطراف، وأن أُصلي الصلاةَ لوقتها".^(١)

عن أبي ذر، قال: إن خليلي صلى الله عليه وسلم أوصاني: "إذا طبخت مرقاً فأكثر ماءه، ثم انظر أهل بيت من جيرانك، فأصبهم منها بمعروف".^(٢)

١ رواه مسلم (٦٤٨).

٢ رواه مسلم (٢٦٢٥).

عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه

ها هو عبد الله بن عمرو بن العاص يذكر أمام النبي أن يستطيع أن يصوم أكثر وأن يقرأ أكثر، ثم يعتبر ذلك عهداً لا يستطيع الإخلال به، مع ما أصبح يعانيه بعد سنوات طويلة من كبر السن وضعف البدن.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه ، قال: كنت أصوم الدهر وأقرأ القرآن كل ليلة، قال: فيما ذكرت للنبي صلى الله عليه وسلم، وإما أرسل إلي فأتيته، فقال لي: «ألم أخبر أنك تصوم الدهر وتقرأ القرآن كل ليلة؟» فقلت: بلى، يا نبي الله، ولم أرد بذلك إلا الخير، قال: «فإن بحسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام» قلت: يا نبي الله، إني أطيق أفضل من ذلك، قال «فإن لزوجك عليك حقاً، ولزورك عليك حقاً، ولجسدك عليك حقاً» قال: "فصم صوم داود نبي

عهدو الصدابة

الله، فإنه كان أعبد الناس" قال قلت: يا نبي الله، وما صوم داود؟ قال: "كان يصوم يوماً ويفطر يوماً." قال: "واقراً القرآن في كل شهر." قال قلت: يا نبي الله، إني أطيق أفضل من ذلك، قال: "فاقرأه في كل عشرين" قال قلت: يا نبي الله، إني أطيق أفضل من ذلك، قال: "فاقرأه في كل عشر." قال قلت: يا نبي الله، إني أطيق أفضل من ذلك، قال: "فاقرأه في كل سبع، ولا تزد على ذلك، فإن لزوجك عليك حقاً، ولزورك عليك حقاً، ولجسدك عليك حقاً." قال: فشددت، فشدد علي. قال: وقال لي النبي ﷺ: "إنك لا تدري لعلك يطول بك عمر" قال: "فصرت إلى الذي قال لي النبي ﷺ، فلما كبرت وددت أني كنت قبلت رخصة نبي الله ﷺ" (١)

١ البخاري (٥٠٥٢)، مسلم (١١٥٩).

عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: أخبر رسول الله ﷺ أنه يقول: لأقومن الليل ولأصومن النهار، ما عشت، فقال رسول الله ﷺ: "أنت الذي تقول ذلك؟" فقلت له: قد قلت، يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: "إفانك لا تستطيع ذلك، فصم وأفطر، ونم وقم، وصم من الشهر ثلاثة أيام، فإن الحسنة بعشر أمثالها، وذلك مثل صيام الدهر." قال قلت: فإني أطيق أفضل من ذلك، قال: "صم يوماً وأفطر يوماً." قال قلت: فإني أطيق أفضل من ذلك، يا رسول الله، قال: "صم يوماً وأفطر يوماً، وذلك صيام داود عليه السلام، وهو أعدل الصيام." قال قلت: فإني أطيق أفضل من ذلك، قال رسول الله ﷺ: "لا أفضل من ذلك." قال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: «لأن أكون قبلت الثلاثة الأيام التي قال رسول الله ﷺ، أحب إلي من أهلي ومالي»^(١).

١ البخاري (١٩٧٦)، مسلم (١١٥٩).

عهد رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه

عن سهل بن سعد، أن رسول الله ﷺ، قال يوم خيبر: "لأعطين هذه الراية رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله." قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يُعطاهَا، قال فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ، كلهم يرجون أن يُعطاهَا، فقال أين علي بن أبي طالب فقالوا: هو يا رسول الله يشتكي عينيه، قال فأرسلوا إليه، فأتي به، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه، ودعا له فبرأ، حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال علي رضي الله عنه: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا، فقال: "انفذ على رسلك، حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من أن يكون لك حُمْرُ النَّعَمِ."^(١)

١ البخاري (٣٤٨٩)، مسلم (٢٤٠٦).

عهده ﷺ لأمرء الجيوش والسرايا

مَنْ نَظَرَ فِي عَهْدِهِ ﷺ وَوَصَايَاهُ لِقَادَةِ جِيُوشِهِ وَسَرَايَاهُ بَعِينَ
الْإِنصَافِ عَرَفَ بِحَقِّ عِظَمَةِ هَذَا الدِّينِ، وَلَمَسَ الرَّحْمَةَ الَّتِي
جَاءَ بِهَا ﷺ، وَأَيَقَنَ أَنَّ كُلَّ مَا يُنْسَبُ إِلَى دِينِ الْإِسْلَامِ
مِنَ الْعُنْفِ وَاللَّانِسَانِيَةِ غَيْرُ صَحِيحٍ، وَإِلَيْكُمْ هَذَا الْحَدِيثُ
الصَّحِيحُ الَّذِي يُفَصِّلُ ذَلِكَ أَتَمَّ تَفْصِيلٍ.

عن سليمان بن بريدة، عن أبيه، قال: كان رسول الله
ﷺ إذا أَمَرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ
بِتَقْوَى اللَّهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: "اغزوا
باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا
تعلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدًا، وإذا لقيت
عدوك من المشركين، فادعهم إلى ثلاث خصال - أو
خلال - فأيتهاهنَّ ما أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم،

عهد الصداقة

ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك، فاقبل منهم، وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين، وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها، فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنيمة والفية شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فسلهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله، وذمة نبيه، فلا تجعل لهم ذمة الله، ولا ذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك، فإنكم أن تحفروا ذممكم وذمم أصحابكم أهون من أن تحفروا ذمة الله وذمة رسوله، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن

تُنزلهم على حكم الله، فلا تُنزلهم على حكم الله، ولكن
أنزلهم على حكمك، فإنك لا تدري أتصيب حكم الله
فيهم أم لا. (١)

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ



الدعوة إلى الله تعالى في القتال

الدعوة إلى الله تعالى في القتال

ما قاتل عليه السلام قوماً حتى دعاهم

عن ابن عباس رضي الله عنهما: ما قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم قوماً حتى دعاهم.^(١)

١ أخرجه أبو يعلى في مسنده (٤٦٢/٤) رقم (٢٥٩١)، مسند أحمد (٢٠٠١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رجاله رجال الصحيح.

أمره عليه السلام البعث بتأليف الناس ودعوتهم

وأخرج بن مَنده وابن عساكر عن عبد الرحمن بن عائذ رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث بَعْثًا قال: "تَأَلَّفُوا النَّاسَ وَلَا تُغَيِّرُوا عَلَيْهِمْ حَتَّى تَدْعُوهُمْ فَمَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ مَدْرَ وَلَا وَبَرَ إِلَّا تَأْتُونِي بِهِمْ مُسْلِمِينَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ تَأْتُونِي بِنِسَائِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ وَتَقْتُلُوا رِجَالَهُمْ."^(١)

١ رواه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٤٦٨٢).

الدعوة إلى الله تعالى في القتال

بعثه ﷺ أبا أمامة إلى قومه باهلة

أخرج الطبراني عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى قومي أَدْعُوهُمْ إلى الله عزَّ وجلَّ، وأعرض عليهم شرائع الإسلام، فأتيتهم وقد سَقَوْا إبلهم وحلبوها وشربوا، فلما رأوني قالوا: مرحبًا بالصُّدَيِّ ابن عَجْلان. قالوا: بلغنا أنك صبوت إلى هذا الرجل. قلت: لا، ولكن آمنت بالله ورسوله، وبعثني رسول الله ﷺ إليكم أعرض عليكم الإسلام وشرائعه. فبينما نحن كذلك إذ جاؤوا بقصعتهم فوضعوها واجتمعوا حولها فأكلوا بها. قالوا: هَلُم يا صُدَيِّ، قلت ويحكم إنما أتيتكم من عند من يُحَرِّم هذا عليكم إلا ما ذَكَّيْتُمْ كما أنزل الله. قالوا: وما قال؟ قلت: نزلت هذه الآية: "حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ المَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الخَنْزِيرِ - إلى قوله - وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ"، فجعلت أَدْعُوهُمْ إلى

الدعوة إلى الله تعالى في القتال

الإسلام ويأبُونَ. قلت لهم: ويحكم، إيتوني بشربة من ماء فإني شديد العطش، قال: وعليَّ عِمامةٌ. قالوا: لا. ولكن ندعك تموت عطشًا. قال: فاعتممت وضربت برأسي في العمامة ونمت في الرمضاء في حر شديد، فأتاني آتٍ في منامي بقدح زجاج لم يرَ الناس أحسن منه، وفيه شراب لم يرَ الناس ألف منه، فأمكنني منها فشربتها، فحيث فرغت من شرابي استيقظت، ولا والله ما عطشت لا عرفت عطشًا بعد تيك الشربة.^(١)

١ قال الكاندهلوي في حياة الصحابة (١٣٩/١): قال الهيثمي وفيه: بشير بن شريح وهو ضعيف - اهـ. وأخرجه ابن عساكر أيضًا بطوله مثله كما في كنز العمال. وأخرجه أبو يعلى مختصرًا وزاد في آخره: ثم قال لهم رجل منهم: أتاكم رجل من سرّاة قومكم فلم تتحفوه؟ فأتوني بلبن. فقلت: لا حاجة لي به، وأريتهم بطني فأسلموا عن آخرهم. ورواه البيهقي في الدلائل وزاد فيه: أنه أرسله إلى قومه باهلة، كذا في الإصابة. وأخرجه الطبراني بإسنادين؛ وإسناد الأول حسن فيها: أبو غالب وقد وثق. وأخرجه الحاكم في المستدرک.

لقد حاز سلفنا الصالح قصب
السبق في علو الهمة وسمو
المراد، وقد ضربوا لهم في كل
باب من أبواب هذا الدين بسهم،
وأخذوا من كل فضل بنصيب

أينقص الدين وأنا حي؟!!

فإن الله سبحانه وتعالى خلق العباد وهم في درجات المهمة متفاوتون، فمنهم من ترقى به همته لتبلغ به عنان السماء، ومنهم من تقصر به همته حتى تخلد به إلى الأرض.

ولقد حاز سلفنا الصالح قصب السبق في علو المهمة وسمو المراد، وقد ضربوا لهم في كل باب من أبواب هذا الدين بسهم، وأخذوا من كل فضل بنصيب:

ففي العبادة؛ لا تراهم إلا راكعين ساجدين، خاشعين باكين محبتين.

وفي سبيل طلب العلم؛ فارقوا الأهل والأولاد، وتنقلوا في البلاد، وهجروا لذيد الرقاد، وأنفقوا الطارف والتلاد.

وفي الإنفاق؛ أنفقوا إنفاق من لا يخشى الفقر في دنياه، ويبتغي رضى مولاه.

عاهدوا فصدقوا

وأما في الجهاد؛ فالحديث ذو شجون، فإنهم لما عاينوا أن له فضلاً لا يضاهاى، وخيراً لا يتناهى، سمت نفوسهم إليه، وعلت همهم لتحصيله، فشمروا للجهاد عن ساق الاجتهاد، ونفروا لمحاربة أهل الكفر والعناد، فجهزوا جيوشهم وسرايهم، وبدلوا في سبيل ذلك أموالهم وعطايهم، وباعوا نفوسهم لخالقها وباريها، فجازاهم بذلك من الجنان أعاليها. وقد حفظ لنا تاريخنا كثيراً من تلكم المواقف والقصص التي تدل على علو همة القوم وسمو مطلبهم.

ففي محنة مانعي الزكاة؛ إذ لهم الخطب واشتدت المحنة، والتبس الأمر حتى على كبار الصحابة، فوقف الصديق رضي الله عنه لها بالمرصاد وقال: (والله لا أفرق بين الصلاة والزكاة، ولأقاتلن من فرق بينهما)، قال عمر رضي الله عنه: (فقاتلنا معه، فأرينا ذلك رشداً).^(١)

١ البخاري (٧٢٨٥)، مسلم (٣٢).

وعن أبي رجاء العطاردي قال: (دخلت المدينة فرأيت الناس مجتمعين، ورأيت رجلاً يقبل رأس رجل وهو يقول؛ أنا فداؤك لولا أنت لهلكنا، فقلت؛ من المَقْبَل ومن المَقْبَل؟ قالوا؛ عمر يقبل رأس أبي بكر في قتاله أهل الردة إذ منعوا الزكاة حتى أتوا بها صاغرين).^(١)

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: (توفي النبي صلى الله عليه وسلم فنزل بأبي بكر ما لو نزل بالجبال لهاضها، اشرب النفاق بالمدينة، وارتدت العرب، فوالله ما اختلفوا في نقطة إلا طار أبو بكر بحظها وفنائها في الإسلام).^(٢)

يومها وقف الصديق - فداه أبي وأمي - كالجبل الأشم
سداً منيعاً أمام تيار الردة، صارخاً من أعماق قلبه متوكلاً

١ الرياض النضرة (١/١٣٠)

٢ رواه ابن أبي شيبة (٧/٤٣٤)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/٥٣) رواه الطبراني في الأوسط والصغير.

عاهدوا فصدقوا

على ربه قائلاً: "قد انقطع الوحي وتم الدين، أينقص الدين وأنا حي؟!".^(١)

"أينقص الدين وأنا حي؟!"; يالها من كلمة فاض بها لسائنه، ونطق بها جنانه، كلمة ترسم منهجاً واضحاً لما يجب أن يكون عليه كل فرد من أفراد هذه الأمة؛ علو في الهمة، قوة في التوكل، ثبات على الحق.

"أينقص الدين وأنا حي؟!"; قالها لسان حال إمام أهل السنة أحمد بن حنبل الشيباني، الصديق الثاني، يوم أن وقف وحده كالطود الأشم في محنة خلق القرآن، فكشف الله به الغمة، وأنقذ به الأمة.

"أينقص الدين وأنا حي؟!"; تمثلها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يوم أن قام يمرض الأمة على قتال التتار، وكان

١ مشكاة المصابيح، كتاب المناقب (٦٠٣٤).

عاهدوا صدقوا

رحمه الله لصدق توكله على الله و يقينه بموعوده؛ يقسم بالله - لا يستثنى - أن الله ناصرهم على التتار، فيقال له: (قل إن شاء الله!)، فيقول: (تحقيقاً، لا تعليقا)، فرد الله عاديتهم وانقلبوا على أعقابهم خاسرين.

س"أينقص الدين وأنا حي؟!"; صرخ بها قلب شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، فكان يطوف كالوالدة الثكلى بين البلاد، وعيناه تذرفان بالدموع ينادي:
يا للإسلام! يا للإسلام!

إن الأحزان والمصائب تشحذ الهمم وتصنع الرجال،
فإن لم تحفزنا المصائب وتعلي هممنا الآلام والأحزان فما
الذي يُعلينا؟! وما الذي يوقظنا؟!

أينقص الدين وأنا حي؟!!

طوبى للذين يعرفون أن الدين مسؤولية
وليس مجرد انتساب.
متى ستقول أنت أيضا هذه المقولة؟

وفاءؤه بديون النبي ﷺ ووعوده

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: "قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قد جاء مال البحرين لقد أعطيتك هكذا وهكذا ثلاثاً، فلم يقدم مال البحرين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم."

فلما قدم على أبي بكر أمر منادياً فنادى من كان له عند النبي صلى الله عليه وسلم دين، أو عدة فليأتني،

قال جابر: فجئت أبا بكر فأخبرته أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: لو جاء مال البحرين أعطيتك هكذا وهكذا ثلاثاً، قال: فأعطاني. قال جابر: فلقيت أبا بكر بعد ذلك فسألته فلم يعطني ثم أتيته فلم يعطني، ثم أتيته الثالثة فلم يعطني..

فقلت له: قد أتيتك فلم تعطني ثم أتيتك فلم تعطني ثم أتيتك فلم تعطني، فإما أن تعطيني، وإما أن تبخل عني،

عاهدوا فصدقوا

فقال: أقلت تبخل عني، وأي داء أدوأ من البخل؟ - قالها
ثلاثاً - ما منعتك من مرة إلا وأنا أريد أن أعطيك." (١)

والله لا أحلُّ عقدة عقدها رسول
الله ﷺ، ولو أنَّ الطير تخطفنا،
والسباع من حول المدينة، ولو أنَّ
الكلاب جرت بأرجل أمهات المؤمنين
لأجهزن جيش أسامة

وفاءؤه في إنفاذ جيش أسامة

قام أبو بكر رضي الله عنه، بتنفيذ جيش أسامة بن زيد، الذي قرره رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ليسير إلى تخوم البلقاء من الشام. (فخرجوا إلى الجرف فخيّموا به، وكان بينهم عمر بن الخطاب، ويقال: وأبو بكر الصديق، فاستثناه رسول الله منهم للصلاة، فلما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم أقاموا هنالك، فلما مات صلى الله عليه وسلم عظم الخطب، واشتدّ الحال، ونجم النفاق بالمدينة، وارتدّ من ارتدّ من أحياء العرب حول المدينة، وامتنع آخرون من أداء الزكاة إلى الصديق، ولم يبق للجمعة مقام في بلد سوى مكة والمدينة، وكانت جواثا من البحرين أول قرية أقامت الجمعة بعد رجوع الناس إلى الحقّ... وقد كانت ثقيف بالطائف ثبتوا على الإسلام، لم يفروا ولا ارتدوا، والمقصود أنه لما وقعت هذه الأمور، أشار كثير من الناس

على الصديق أن لا ينفذ جيش أسامة؛ لاحتياجه إليه فيما هو أهم؛ لأنَّ ما جهز بسببه، في حال السلامة، وكان من جملة من أشار بذلك عمر بن الخطاب، فامتنع الصديق من ذلك، وأبى أشد الإباء، إلا أن ينفذ جيش أسامة، وقال: والله لا أحلُّ عقدة عقدها رسول الله ﷺ، ولو أنَّ الطير تخطفنا، والسباع من حول المدينة، ولو أنَّ الكلاب جرت بأرجل أمهات المؤمنين لأجهزنا جيش أسامة^(١)

لَيَرَيْنَ اللَّهُ مَا أَصْنَعُ!

في صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه: غَابَ عَمِّي
أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ عَنْ قِتَالِ بَدْرٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ غِبْتُ
عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ الْمُشْرِكِينَ، لَعِنَ اللَّهُ أَشْهَدَنِي قِتَالَ
الْمُشْرِكِينَ لَيَرَيْنَ اللَّهُ مَا أَصْنَعُ! (١)

فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ أُحُدٍ وَانْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي
أَعْتَدْتُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ - يَعْنِي أَصْحَابَهُ -، وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ
مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ - يَعْنِي الْمُشْرِكِينَ -، ثُمَّ تَقَدَّمَ فَاسْتَقْبَلَهُ
سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فَقَالَ: يَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، الْجَنَّةُ وَوَرَبِّ
النَّضْرِ، إِنِّي أَحَدُ رِيحَيْهَا مِنْ دُونِ أُحُدٍ!، قَالَ سَعْدُ: فَمَا
اسْتَطَعْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا صَنَعُ.

١ البخاري (٢٨٠٥)، مسلم (١٩٠٣).

عاهدوا صدقوا

قَالَ أَنَسُ: فَوَجَدْنَا بِهِ بَضْعًا وَثَمَانِينَ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ أَوْ طَعْنَةً بِرُمحٍ أَوْ رَمِيَّةً بِسَهْمٍ، وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ وَقَدْ مَثَلَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلَّا أُحْتُهُ بِنَانِهِ!

قَالَ أَنَسُ: كُنَّا نَرَى أَوْ نَنْظُرُ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ تَزَلَّتْ فِيهِ وَفِي أَشْبَاهِهِ: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ.^(١)

١ صحیح البخاری، رقم الحدیث: (٢٨٠٥).

فحتى متى؟!!!

خالد بن الوليد رضي الله عنه أسلم بعد البعثة بعشرين عامًا تقريبًا، وذلك في شهر صفر من سنة ٨ هـ قبل فتح مكة بعدة أشهر، مما يعني أنه تأخر في إسلامه.

وفي تتبعي للحالة النفسية للرجل تجد أنه يعظم رجال السابقة في الإسلام، وأنه كان متأثرًا أنه تأخر في إعلان الإسلام، ويظهر هذا جليًا في قصة إسلامه، فإنه لما قرر الإسلام في قصة لطيفة قصد المدينة النبوية، وفي الطريق التقى بعمر بن العاص، وكان قد ذهب يعلن إسلامه هو الآخر..

قال عمرو: فلقيت خالد بن الوليد، وذلك قبيل الفتح وهو مُقبِلٌ من مكة فقلت: أين يا أبا سليمان؟ قال: والله لقد استقام المنسِم^(١)، وإنَّ الرجلَ لنبي، أذهب والله أسلم،

١ استقام المنسِم؛ أي: تبَيَّن الطريق، والأصل فيه منسما حُفِّ البعير، بما يُسْتَبَانُ أثرُ البعير. انظر: غريب الحديث لابن الجوزي (٤٠٦/٢).

فحتى متى؟! قال: قلت والله ما جئت إلا لأسلم! قال:
فقدمنا على رسول الله ﷺ. (١)

لعلك تشعر الآن بتنهيدهته وهو يقول: فحتى متى!.

وبدأت مسيرة الاستدراك، فقد أنقذ جيش المسلمين يوم مؤتة في أفضل انسحاب عسكري في التاريخ طالته يداي، وشهد فتح مكة وحنينًا، وقاد معارك اليمامة ضد أهل الردة، وقضى على مسيلمة الكذاب، وغزا العراق وفتحه، ثم اخترق الصحراء من العراق إلى الشام في رحلةٍ فيها من الجرأة والمخاطرة ما يأخذ بالعقول، بخطّة بارعة، ووصل في خمس ليالٍ فقط، وحاصر دمشق وفتحها هو وأبو عبيدة بن الجراح، وخاض جملةً من المعارك الفاصلة حتى فتح الله على يديه.

١ مسند أحمد، رقم الحديث: (١٧٧٧٧). وقد حسنه شعيب الأرناؤوط.

عاهدوا فصدقوا

فأي رجل هذا الذي يُسلم متأخرًا، ثم يجوز أجر من أسلم من فارس والروم أعظم ممالك الدنيا آنذاك، وقد مثل رأس القادة الذين فتحوهما!.

وما عاش في الإسلام إلا ثلاثة عشر عامًا، وقد قتل جماعة من الأبطال، ثم مات أخيرًا على فراشه، فلا قرت أعين الجبناء، وتوفي بحمص سنة ٢١ هـ، وقد عاش ستين سنة، ولم يبق في جسده قيد شبر إلا وعليه طابع الشهداء^(١)!

وقل قريبًا من هذا في حق عمرو بن العاص رضي الله عنه؛ فإنه فاتح قطعة من الشام وفلسطين، وصاحب المقامات المحمودة، وهو القائل: ما عدل بي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبخالد منذ أسلمنا أحدًا من أصحابه في حربه^(٢)!

١ سير أعلام النبلاء للذهبي (٣٦٦/١-٣٦٧).

٢ سير أعلام النبلاء للذهبي (٦٦/٣).

عاهدوا فصدقوا

وتولى أمر مصر، وكانت ولاية مصر تعدل الخلافة، وحسنت سيرته في الناس، حتى دخل أكثر أهل مصر في دين الله أفواجًا.

وعقب تسجيل هذه المواقف لهؤلاء الثابتين على العهد أسألك: أن تسعى أن تكون واحدًا من أولئك الشجعان الذين سبق لهم أن أخطئوا وقصروا أو تكاسلوا وتأخروا ثم استدركوا على أنفسهم، وصاروا أئمة في الناس، ينصرون الله ورسوله، ويقىمون للإسلام كلمةً وصرحًا، حتى تكون من عمته قول نبينا ﷺ: "لَا يَزَالُ اللَّهُ يَغْرِسُ فِي هَذَا الدِّينِ غَرْسًا يَسْتَعْمِلُهُمْ فِي طَاعَتِهِ" (١)!

إنَّ الربَّ الكريمَ الذي فتح للأولين يمكن أن يفتح للآخرين، وفضل الله واسع، وإذا أعطى الله أدهش، فانطلق يا همام وتحرك، واستدرك على نفسك، وأحسن الظن بربك، وإنَّ الله ذو الفضل العظيم. (٢)

١ سنن ابن ماجه، رقم الحديث: (٨) وقد حسنه الألباني.

٢ فقه الاستدراك لمحمد الاسطل

خَلَّ عَنِّي يَا خَالِدًا!

عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه أسلم متأخرًا يوم فتح مكة، وإذا كان عمر رضي الله عنه قد اشتد على نفسه وقد أسلم أوائل البعثة فكيف بمن أسلم بعد الفتح والله يقول: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ (الحديد: ١٠)، ومع ذلك فإنَّ المتتبع للحالة النفسية التي كان عليها عكرمة رضي الله عنه يجده منشغلًا طيلة حياته في الإسلام بالاستدراك على نفسه، فأخذ يُعَدِّد السنين التي فاتته، مسَّته الحسرة، ونزلت به الكآبة، واحترار كيف يُعَوِّضُ ما فات! كادت أن تصيبه حالة نفسية من الهم والغم والحزن والألم، فماذا عسى أن يفعل؟ وكيف له أن يستدرك ما قصَّر؟^(١)

١ فقه الاستدراك لمحمد الاسطل ص ١٦-١٧

عاهدوا فصدقوا

كان عكرمة رضي الله عنه من رؤوس الكفر والغلاة فيه، ولما مات أبو جهل ولي مكانه سيادة بني مخزوم، وكان من أشد الناس على المسلمين، حتى إنه "لَمَّا كَانَ يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ أَقَمَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ إِلَّا أَرْبَعَةً نَفَرٍ وَامْرَأَتَيْنِ وَقَالَ: "اقتُلُوهُمْ وَإِنْ وَجَدْتُمُوهُمْ مُتَعَلِّقِينَ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ"^(١)، وعددهم وبدأ بتسمية عكرمة بن أبي جهل؛ وذلك لأنهم كانوا يُمثلون أركان النظام القديم الذي تولى محاربة الدين وقهر المسلمين.

لكن زوجته سعت عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُؤَمِّنَهُ، فأمنه، فأنت به من اليمن، وكان قد فرَّ إليها، فلما جاء قام له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ محيياً وقال: **مرحباً بالراكب المهاجر**، فقال: ما أقول يا

١ سنن النسائي (٤٠٧٨) وصححه الألباني، وذكره ابن القيم في زاد المعاد (١١٠/٣)، وإسناده صحيح.

عاهدوا فصدقوا

نبي الله؟ قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، قال: ثم ماذا؟ قال: تقول: اللهم إني أشهدك أني مهاجرٌ مجاهد، ففعل..

ثم قال النبي ﷺ: ما أنت سألني شيئاً أعطيه أحداً من الناس إلا أعطيتك، فقال: أما إني لا أسألك مالاً، إني أكثر قریش مالاً، ولكن أسألك أن تستغفر لي. (١)

ثم قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ لَا أَتْرُكُ مَقَامًا قُمْتُهُ لِأَصْدٍ بِهِ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا قُمْتُ مِثْلَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَا أَتْرُكُ تَفَقَّةً أَصْدٌ بِهَا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا أَتَفَقْتُ مِثْلَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ!.

١ تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٣/٤١)، ذكره الترمذي وإسناده ليس بصحيح.

فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ نَزَلَ فَتَرَجَّلَ، ثَابِتًا عَلَى مَا عَاهَدَ عَلَيْهِ فَمَقَاتَلَ قِتَالًا شَدِيدًا، فَمُتِلَ، فَوُجِدَ بِهِ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ مِنْ بَيْنِ طَعْنَةٍ وَضَرْبَةٍ وَرَمِيَةٍ!^(١)

وقد ورد أنه لما ترجل عليه السلام قال له خالد بن الوليد رضي الله عنه: لا تفعل؛ فإن قتلك على المسلمين شديد، فقال: خلّ عني يا خالد؛ فإنه قد كان لك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقة، وإني وأبي كُنتا من أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمشى حتى قتل^(٢)!

١ مصنف بن أبي شيبة (٣٧/١٣).
٢ تاريخ دمشق لابن عساكر (٦٩/٤١).

عاهدوا فصدقوا فماذا عنك؟

عاهدوا فصدقوا فماذا عنك؟

ومما يجدر التنبيه إليه هنا، ما ذكره سبحانه في سورة الأحزاب، مادحًا أصحاب تلك العهود والمواثيق ومثنيًا عليهم: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب: ٢٣)

فقد وعد الله الموفين بعهدهم بجزء عظيم فقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِنْهُمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الفتح: ١٠). نعم لقد وفي صحابة رسول الله ﷺ بعهودهم، والتزموا مواثيقهم، ولم يكونوا كبنِي إسرائيل الذين أصبحت الخيانة والغدر من سماتهم، وأبرز سجايهم وطباعهم. لقد كان من وفاء أصحاب رسول الله ﷺ، أن أحدهم يسقط سوطه وهو راكب على دابته، فينزل ليأخذ سوطه ولا يطلب

عاهدوا فصدقوا فماذا عنك؟

من أحد أن يناوله؛ لأنه بايع رسول الله ﷺ على ألا يسأل الناس شيئاً أعطوه، أو منعه. هذه هي الطاعة، وهذا هو الوفاء، وبمثل هؤلاء تسعد البشرية وتصل إلى مدارج الرقي وسمو الأخلاق، لقد كان جيلاً قرآنيًا فذاً، لم تعرف البشرية جيلاً كذلك الجليل، ولا صفوة كتلك الصفوة ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ افْتَدِهْ﴾ (الأنعام: ٩٠)

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (الزمر: ١٨)^(١)

بعد أن مررت على هذه الصور المشرقة من عهد الصحابة ووفاءهم بها؛ آن لك أن توجه لنفسك سؤالاً:

ما هو عهدي مع الله تعالى؟

١ موقع الدرر السنية، موسوعة الاخلاق، الوفاء بالعهد؛ (العهد والميثاق في القرآن الكريم) لناصر العمر (ص ٢٣٥).

عاهدوا فصدقوا فماذا عنك؟

لابدَّ للإنسان من عهدٍ يعيشُ عليه، ومن هدفٍ يطمحُ له، ومن غايةٍ يسعى إليها، فقيمةُ الإنسانِ تكون بمقدارِ المبادئِ والأهدافِ التي يعيش من أجلها.

فلتكن كما كانوا رضي الله عنهم، كن ذا همّةٍ وثباتٍ،
وردد بكلِّ ثقةٍ:

**سنبقى مشعلًا في كلِّ حينٍ
تُضاءُ بنا الدروبُ الحالكاتِ
جبالًا لا تحركها صُرُوفُ
إذا ما اشتدَّ وقعُ النائباتِ
إذا ما رُمّتْ مجدًا لن تراهُ
وأنت رهينُ قيدِ السيئاتِ**

عاهدوا فصدقوا فماذا عنك؟

رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ

قرأتُ تاريخَهم يوماً فرَفَ فمي
شوقاً لتقبيلِ هذا العطر في الكتبِ

طبعوا على كرم النفوسِ جبلةً
موروثَةً فيهم تراثاً مُتَلدداً

لو أنهمُ عمدوا إلى فعل الخنا
لأبثتُ طباعُ نفوسهم أن تعمدوا

قوم هم دُعْمُ الهدى لا تعدونُ
عيناك عنهم إن ترد دُعْمَ الهدى

الراشدون المرشدون إلى العلى
الدافعون الذائدون الوُردا

هيا بنا يا أخي

أخي، ما أحوجنا إلى ماضينا الأصيل لنهذب به الحال
ونحسن به المقال ونجمل به الأفعال، أخي لقد عاهدوا
الله فمضوا على ما عاهدوا وكانوا رجالاً فوفوا، والآن
جاء دورنا، أيها الفطن، الأمة تنتظرنا هيا بنا يا أخي
نُحي مآثرها، ونُجدد مفاخرها، ونفي بوعودها، ونقوم
بحقوقها، نُجدد نصرتها، ونعيد شبابها، ونصل أسبابها،
ونفتح أبوابها، نُعلي صروحها، ونُضمد
جروحها، ونُداوي قروحها فنكون
خير خلف خير سلف
وليصدق فينا قول القائل:

قَوْمٌ تَسَامَوْا فِي سَمَاوَاتِ الْعُلَا
رَفِعُوا فَكَانُوا يَرْفَعُونَ الْمُسْنَدَ
أَفْعَالُهُمْ تُحْيِي الْقُلُوبَ وَعِنْدَهُمْ
هِمَمٌ قَوِيَّاتٌ يُذِبْنَ الْجُلْمَدَ
سُبُلَ الْمَعَالِي إِنْ أَرَادُوا طَيِّهَا
تَرَكَوْا أَقْلَ مِنَ الذَّرَاعِ الْفَدْفَدَ
وَمَتَّى يَحْرُ فِي تَيْهَاهَا ذُو حَيْرَةٍ
أَبْدُوا لَهُ بِالذَّوِّ مِنْهَا أَنْجَدَا

متى نعود إلى الاقتداء بسيرة أصحاب العهود؟

متى نعود إلى الاقتداء بسيرة أصحاب العهود؟

واحسرتاه على أمتي، إن لم يقم أبناؤها بنشر هذا الدين بكافة الوسائل المتاحة والعمل على هداية الخلق متى نحمل الهم ونتفكر ونتأمل بما وصلنا إليه من هوان وضعف وضياع وغفلة، متى نؤمن أننا أمة رسالة ولنا دور يجب أن نؤديه على هذه الأرض؟

متى نعيد سيرة السابقين ونحيي أيقظة الغافلين؟

ألم يحن الوقت الذي تبرم فيه عهداً بينك وبين الله فيصبح هذا العهد هو دورك في هذه الحياة؟

لماذا في هذا الزمان الغريب نرى الناس تحذوا حذو أصحاب الدنيا الفانية ونسوا ما خلقوا من أجله؟

لماذا أصبحنا متمسكين بحطام الدنيا وصُرِفنا عن دورنا الحقيقي من الوجود؟

أنا سأجيبك.....



الجواب

الجواب: أن الكثير من الناس يتأمل الدنيا فيؤمن بها إيماناً راسخاً وينذهل بها ذهولاً كبيراً قد ينسيه الإيمان بالحياة الأبدية التي لا تساوي أمامها الدنيا جناح بعوضة: "لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء"^(١)، العجيب أن هذا الانفتاح المعرفي في هذا الزمان ساهم في التمسك بالدنيا والانبهار الكبير بها و الغرور بزينتها، والمجتمع أيضاً ساهم في هذا الشيء، وهنا نجد الناس تغتر بالدنيا لكون الدنيا واقعاً ملموساً والآخرة غيباً خفياً غير ملموس ولا محسوس، ومن هنا يأتي المزلق الخطير الذي يختار أمامه حتى الحكماء والعلماء فينجرفوا مع التيار إلا من رحم الله، وبعد البحث والتحليل ومتابعة مستجدات الأحداث ودوافعها وما قد تقول إليه من تأثير جماعي وفردى

١ صحيح الترغيب والترهيب (٤/١٥٨)، الترمذي (٢٣٢٠) وإسناده صحيح

متى نعود إلى الاقتداء بسيرة أصحاب العهود؟

على جميع المستويات المجتمعية والفكرية وجدت أن الناس في هذا الزمان أحوج ما يكونوا محتاجين إليه هو الالتزام بعهد مع الله، يعاهد العبد ربه على ما فتح عليه ويسر له من الأمر: "كُلُّ مُيَسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ."^(١)، فمن فتح الله عليه في العلم، يعاهد ربه أن يعيش باقي حياته في نشره والعمل على تطويره وتسخيره للعباد في كل زمان ومكان، ومن فتح الله عليه في الإدارة أو التخطيط أو التجارة، كلٌ بما يُيسر له الله وفتح له، وحسب تحليلي البسيط ودراساتي المتواضعة لعدة نماذج عالمية ناجحة، وجدت أننا نحتاج إلى مثل هذه العهود الفردية التي تلزم الفرد إلزاماً واضحاً وتدفعه إلى الوفاء بعهده والاستمرار على العطاء والبذل لدينه ولأمته، وثبت لديّ بما لا شك فيه أنها في هذا الزمان بالذات قد تكون من أعظم الطرق النافعة التي تساعد العبد على البذل والثبات في الأمر وتأدية الدور والمهمة التي هو مهياً لها حتى يحين أجله.

١ البخاري (٤٩٤٩)، مسلم (٢٦٤٧).

قم إلى ما أعزك الله به ولا تهن

قم إلى ما أعزك الله به ولا تهن

قوم قامت سوق الدعوة بأرضهم، وأناخت ركابها بياهم،
وهم مازالوا في سباتهم نائمين، وفي لهوهم سامدين،
وبإمكانهم بضغطة زر أو بقليل من الجهد أو المال أن
يصبحوا سبباً لهداية الناس، تأمل معي كيف كان الصحابة
رضوان الله عليهم من التضحية والبذل، ذاك بماله والآخر
بلسانه وذاك بجاهه وهذا يفتدي رسول الله ورسالته بروحه
وماله وولده..

ولكن اقتضت سنة الله أن يكون له عباد يصطفاهم على
مر السنين لحمل راية هذا الدين وتبليغهُ للعالمين.

قال صلى الله عليه وسلم: "لا تزال طائفة من أمتي، ظاهرين
على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله".^(١)

١ مسلم (١٩٢٠).

قم إلى ما أعزك الله به ولا تهن

فانطلقت صيحات الحق بالبلاغ المبين من كل حذب
وصوب لتخرج الناس من الظلمات إلى النور
فاستجاب من استجاب من أبناء هذه الأمة فكم من
شباب ماتوا في أدغال أفريقيا وآسيا، استجابوا للنداء وتركوا
الوظائف والأموال والعيال، وهبوا لنشر رسالة الإسلام،
هبوا مخلفين الدنيا وزينتها وراءهم، تاركين خلفهم أهلهم
ودييارهم وأموالهم، ولكل واحد منهم قصة، ولكل فرد منهم
مأساة، شعث شعورهم، غُبر رؤسهم، قليلة أعدادهم،
تركهم الأهل والأصحاب والتجار والوجهاء بلا دعم أو
تحفيز، ولكن قلوبهم ممتلئة بمحبة هذا الدين، ونفوسهم
تواقة لنشر رسالة رب العالمين.. شعروا بأنهم لهم دور على
هذه الأرض ورسالة يجب أن يبلغوها ويؤدوها على أكمل
وجه أسوة بمن سبقهم من صحابة رسول الله، صدقوا مع

قم إلى ما أعزك الله به ولا تهن

الله فصدقهم، فأجرى الله على أيديهم هداية الناس، أولئك هم المعاهدون الدعاة الثابتون، فهم والله أثبت الناس عند الفتن وأصدقهم لهجة عند المحن وأبرهم وأكثرهم نفعا عند الرخاء، وأعظمهم إثارا عند البلاء.

إن معرفة عهود الصحابة وما نتج عنها من مواقف ومبادرات في سبيل نشر الإسلام يعتبر من أعظم ما يحرك ضمير الأمة والناشئة خاصة على مر العصور.

(فما هو عهدك مع الله؟)

إن في سيرة أعظم جيل ستجد أعظم القدوات في تاريخ البشرية خاصة في زماننا الذي ضاعت فيه القيم وماتت به الهمم.

ضع عهدك

ضع عهدك

ابدأ من الآن، ضع مع نفسك عهدًا تعيشُ عليه وتلتزمُ به،
وليكن الله شاهدًا على عهدك، عهدًا شريفًا تشرفُ به،
ساميًا تسمو معه، رفيعًا ترتفع به.

بِقَدْرِ الْجِدِّ تُكْتَسَبُ الْمَعَالِي
وَمَنْ طَلَبَ الْعُلَا سَهَرَ اللَّيَالِي
وَمَنْ رَامَ الْعُلَا مِنْ غَيْرِ كَدٍّ
أَضَاعَ الْعُمَرَ فِي طَلِبِ الْمَحَالِ
تَرَوْمُ الْعُرَّ ثُمَّ تَنَامُ لَيْلًا
يَغْوُصُ الْبَحْرَ مَنْ طَلَبَ اللَّالِي

واللأسفاه!

واللأسفاه!

أي خسارة بعد كل هذه النعم وتخرج من الدنيا صفر
اليدين من رحمة الله وفضله، قد أخذتك دوامة الحياة
وحطامها التافهة، وقطعت بك الدنيا مرحلة بعد مرحلة،
حتى خرجت روحك قبل أن تقدر مولاك حقَّ قدره. إِنَّ
كُلَّ نَفْسٍ وَكُلَّ عَرَقٍ يُخْرَجُ مِنْكَ فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ سِيُخْرَجُ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَسْرَةً وَنَدَامَةً فَأَيُّ حَسْرَةٍ تَنْزِلُ بِالْإِنْسَانِ وَهُوَ
يَرَى الَّذِينَ عَاشُوا مَعَهُ يُؤْتَى لَهُمْ إِلَى الْقُبُورِ وَهُوَ يَرَى صَاحِبَهُ
فَلَانًا يَفُوزُ بَعْلِيَيْنِ، وَذَلِكَ يُبَشِّرُ بِالْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَى وَهُوَ مَا
زَالَ فِي الطِّينِ، وَوَحَلَّ التَّقْصِيرَ وَدَنُو الْهَمَّةِ، وَهَلْ يَنْفَعُ عِنْدَ
ذَلِكَ نَدْمٌ أَوْ دَمُوعٌ!؟.

ما الذي يجعلك ترضى بحياة الكسل وأنت تعلم أن المصير
إنما هو ليوم يكون أعلى رجاء للكافر فيه أن يهلك، حتى
إنه ليدعو ثبورًا. فأعتق نفسك اليوم من عذاب ربك، وضع

والأسفاه!

قدمك في الجنة بوضع قدمك في الأعمال المفضية إليها، قبل أن تضع في عرصات القيامة، انشغل بالآخرة قبل أن تشغلك الدنيا وتسقط في الوحل، فأين همتك التي تُوَزَّك إلى المعالي أزا، واحذر أن تكون من الغافلين: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ (مریم: ٣٩)، فأدرك نفسك، وأقبل على ربك، وابك على خطيئتك وما ضاع من عمرك، قبل أن يأتي يومٌ تنتهي الأعمال إليه وقبل أن تكون ممن قصدهم ابن الجوزي بقوله: "تأملت في الخلق فإذا هم في حالة عجيبة، يكاد يُقَطَّعُ معها بفساد العقل، وذلك أن الإنسان يسمع المواعظ وتُذكر له الآخرة فيعلم صدق القائل، فيبكي وينزعج على تفريطه، ويعزم على الاستدراك، ثم يتراخى عمله بمقتضى ما عزم عليه. فإذا قيل له: أتشك فيما وعدت به؟، قال: لا والله، فيقال: له فاعمل، فينوي ذلك، ثم يتوقف عن العمل!".^(١)

١ صيد الخاطر لابن الجوزي ص (١١٨).

في الخاتمة

يجب أن نتأمل في سيرة ذلك الجيل ونعي أفضلية الصحابة ومكانتهم ونحث أنفسنا والناس على الاقتداء بهم وإبراز مواقفهم المشرفة، ودروسهم الجميلة التي تركوها لنا في نصرة هذا الدين وتبليغه والثبات على البلاغ ورحمة البشرية من أغلال الشرك والحرص على إسلامهم رحمة بهم وتأديّة للأمانة التي على عاتقهم فصوروا لنا دروساً في التضحية والصبر والعدل وسلامة الصدر ونقاء السريرة.



الفهرس

- ٤ الافتتاحية
- ٩ معنى العهد
- ١٢ أنواع العهد
- ١٤ الوفاء بالعهد
- ١٦ من أعظم حظا من نور الرسالة؟
- ٢١ وفاء النبي ﷺ
- ٢٣ اليوم يوم بر ووفاء
- ٢٦ "أي عمّ، قُلْ: لا إله إلاّ الله أُحاجُّ لك بها عند الله"
- ٢٨ أنا منكم وأنتم مني
- ٢٩ العيلة عليهم تخافين وأنا وليُّهم في الدنيا والآخرة؟
- ٣١ وإن حسن العهد من الإيمان
- ٣٢ الوفاء بالعهد مع الأعداء
- ٣٥ هذا أحد جبل يحبنا ونحبه

- ٣٦ "لو لم ألتزمه لما زال هكذا إلى يوم القيامة"
- ٣٧ العهد الذي عاهدوا الرسول ﷺ
- ٣٩ مواقف المعاهدين
- ٤٣ وفاء الصحابة
- ٤٧ ولن تجدني في الإسلام خوارا
- ٥٠ فعلام نعطي الدنيا في ديننا؟
- ٥٣ بيعة الرضوان
- ٥٧ عهد الأنصار للرسول في غزوة بدر
- ٦١ "فما تركتها بعد.. ولا ليلة صفين"
- ٦٣ فما زالت تلك طعمتي بعد
- ٦٦ "صاحب سر الرسول: لولا عهد رسول الله ﷺ إلي"
- ٦٩ لا أدعهن حتى أموت
- ٧٠ جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه
- ٧١ وصاياه ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه

- ٧٢ عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه
- ٧٥ عهده صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه
- ٧٦ عهده صلى الله عليه وسلم لأمرء الجيوش والسرايا
- ٧٩ الدعوة إلى الله تعالى في القتال
- ٨٠ أمره عليه السلام بالبعوث بتأليف الناس ودعوتهم
- ٨١ بعثة صلى الله عليه وسلم أبا أمامة إلى قومه باهلة
- ٨٤ عاهدوا فصدقوا
- ٨٤ أينقص الدين وأنا حي!؟
- ٩٠ وفاءه بديون النبي صلى الله عليه وسلم ووعوده
- ٩٣ وفاءه في إنفاذ جيش أسامة رضي الله عنه
- ٩٥ ليرين الله ما اصنع!
- ٩٧ فحتى متى!؟!!
- ١٠١ خل عني يا خالد!
- ١٠٥ عاهدوا فصدقوا فماذا عنك؟

- ١٠٩ هيا بنا يا أخي
- ١١١ متى نعود إلى الاقتداء بسيرة أصحاب العهود؟
- ١١٤ قم إلى ما أعزك الله به ولا تهن
- ١١٧ ضع عهدك
- ١١٨ واهلأسفاه!
- ١٢٠ الخاتمة

تم بحمد الله

تم بحمد الله
في يوم السبت الموافق
١٤٤٢/٩/٢٦ للهجرة

الذال على الخير كفاعله فلا يفوتك إهداء الكتاب
لغيرك بعد قراءته

هذا الكتابُ وقفٌ لله تعالى وليستفاد منه أكثر
نحنتك على أن لا تحرم نفسك من أجر قراءته من قبل
الآخرين، لذا نأمل منك بعد قراءة الكتاب أن تضعه
في أقرب مسجد أو تهديه لإمام مسجد أو طالب أو
معلم، وتطلب منهم أن يتدارسوا مواضع الكتاب
فيما بينهم حتى تكون نواة لمن ينشر العلم النافع
الذي ينفعك في قبرك.

لتنزيل هذا الكتاب وغيره من كتب قيمة زوروا موقع
دار الإسلام:

www.islamhouse.com

